المسألة الأرمنية وموقف الغرب منها خلال حكم السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ـ ١٩٠٩م)

أ.م.د.محمد جمال الدين العلوي أ.م.د.بان غانم الصائغ

قسم العلوم السياسية

كلية العلوم السياسية / جامعة الموصل

تاريخ تسليم البحث: ٢٠١٢/٥/١٥ ؛ تاريخ قبول النشر: ٢٠١٢/٦/٢٨

ملخص البحث:

استوطن الأرمن في منطقة إستراتيجية في شبه جزيرة الأناضول ، وهي محور اهتمام الدول المجاورة ومنطقة نزاع عبر التاريخ بين الإمبراطوريتين الفارسية والبيزنطينية. وعندما شكل الأرمن في هذه المنطقة بعض الإمارات والدول أصبحت في الغالب تحت سيطرة الدول المجاورة .

عند قيام الدولة العثمانية عاش الأرمن في سلام متمتعين بحرية العقيدة والعمل .وعلى الرغم من ذلك ظهرت عدة حركات ارمنية بتحريض من قوى خارجية . طالبت هذه الحركات بالاستقلال عن الدولة العثمانية أو إقامة حكم ذاتي خاص.

أدت روسيا القيصرية دوراً واضحاً منذ ظهور المسألة الارمنية بشكل خاص، وبعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب الروسية – العثمانية (١٨٧٧ -١٨٧٨) وأصبح لهذه المسالة أهمية على الصعيد الدولي بعد معاهدتي برلين وسان ستيفانو١٨٧٨. وكان للسلطان العثماني عبد الحميد الثاني موقف خاص من المعاهدات واتبع سياسة خاصة في التعامل مع المسألة الارمنية، ولم يطبق الإصلاحات المقررة في المناطق التي يسكن فيها الأرمن وعلى هذا الأساس كان لبعض الدول الكبرى مواقف من ذلك بحسب ما تقتضيه مصالحها تجاه الدولة العثمانية.

The Armenian Issue and the West Stand towards it during the Reign of the Ottoman Sultan Abdul Hameed II (1876–1909)

Asst. Prof. Dr. Muhammad J. Al-Alawi Asst. Prof. Dr. Ban Gh. Al-Saigh
Political Science Department
College of Political Science / Mosul University

Abstract:

The Armenians inhabited a strategic region in the peninsula of Anatolia. It was the core of concern of the neighboring states and a conflict area between the Persian and the Byzantium empires throughout history. When the Armenians established some emirates and states in this region, they mostly became under the control of the strong neighboring states.

On the rise of the Ottoman state the Armenians lived in peace practicing free doctrine and work. Despite that, Armenian revolutionary movements emerged induced by outside powers, particularly France. These movements demanded either for dependence from the Ottoman state or getting autonomy.

Caesarian Russia played an important role in raising the Armenian issue, especially after the defeat of the Ottoman state in the Russian – Ottoman war (1877–1878). This issue gained an international importance after holding the two treaties of Berlin and San Stefano (1878). The Sultan Abdul Hamid II had a special stand from these treaties. He followed a special policy in dealing with the Armenian issue. He did not apply the decided reforms in the places inhabited by the Armenians. On this basis, some of the great states have their stands according to their special interests towards the Ottoman state.

المقدمة:

سكن الأرمن منطقة إستراتيجية في شبه جزيرة الاناضول وكانت تلك المنطقة محـــور اهتمام الدول القوية المجاورة، ومنطقة نزاع عبر التاريخ بين الامبراطوريات . وقد شكلّوا في تاريخهم بعض الامارات والدول، وكانت في الغالب خاضعة لسلطة وسيطرة الدول المجاورة، وبعد مجئ الإسلام وتوسع دولته وتغلب المسلمين على الفرس والبيزنطيين، اصـــبحوا تـــارة تحت حكم العرب المسلمين وتحت حكم البيزنطيين النصارى تارة اخرى.

وفي ظل الدولة العثمانية عاش الارمن موزعين في ست ولايات عثمانية، وقد ضمنت لهم الدولة العثمانية، الاستقلال الديني والحضاري تحت رعاية البطريركيـــة الارمنيـــة فـــي

استانبول، وكانوا من أكثر الأقليات تمتعاً بالامتيازات خلال الحكم العثماني، وفي الوقت نفسه كان هناك أقلية ارمنية تعيش على الأراضي الروسية في ظل الحكم القيصري.

في منتصف القرن التاسع عشر وبعد هزيمة الدولة العثمانية في الحرب الروسية– العثمانية (١٨٧٧ - ١٨٧٨) ، ظهرت المسألة الارمنية على الصعيد الدولي وكان للسلطان عبد الحميد الثاني سياسة خاصة في التعامل مع هذه القضية لخصوصيتها. وكان للدول الكبرى لاسيما (روسيا القيصرية ، بريطانيا ، فرنسا، المانيا) مواقف من المسألة الارمنية يختلف كل منها عن الاخر بحسب مصالحها.

أثيرت المسألة الارمنية في منتصف القرن العشرين تحت عنوان (إبادة الأرمن في الدولة العثمانية)، وقد بحث الموضوع في منظمة الأمم المتحدة والبرلمان الأوربي وبعض برلمانات الدول الأوربية الكبرى . إذ تم الاعتراف بإبادة الأرمن من قبل لجنة الامم المتحدة لحقوق الإنسان، في ٢٩/آب/١٩٨٥، كما تم الاعتراف بها من قبل البرلمان الاوربي وبرلمانات اخرى عام ١٩٨٧. كان آخرها قرار الجمعية الوطنية الفرنسية باعتماد مشروع قانون تجريم افكار إبادة الارمن المتخذ في ٢٢/ كانون الاول / ٢٠١١ بدفع من الرئيس الفرنسي نيقولا ساركوزي.

لذا تكمن أهمية البحث في التعرف على أصل المسألة الارمنية وموقف الدول الكبرى منها حين ظهورها وعلاقة الدولة العثمانية بتلك الدول لأهمية ذلك في تاريخ العلاقات الدولية، فضلاً عن ذلك السؤال الذي لابد من الإجابة عليه .لماذا تثار هذه القضية من قبل الدول الكبرى مجدداً. وهو مايأمل الباحثان ان يعالجاه مستقبلاً لدراسة الموقف التركي من ذلك وردود الفعل، وتأثير ذلك على علاقة تركيا الدولية فضلاً عن التغيرات الإقليمية والدولية.

يحاول البحث التحقق من ان المسألة الارمنية التي ظهرت في القرن التاسع عشر نتيجة السياسة العثمانية تجاه الأرمن، أم أنها نتيجة تدخل ودفع من قبل الدول الكبرى آنذاك؟، وكيف تمكن السلطان عبد الحميد الثاني من التعامل مع المسألة؟، وهل تمكنت الدول الكبرى من تحقيق اهدافها منها؟.

ومن اجل الاجابة على تلك التساولات فقد اعتمدنا المنهج العلمي الاكاديمي في المعالجة التاريخية.

وعلى هذا قسم البحث الى ثلاثة مباحث فضلاً عن المقدمة والخاتمة .تضمنت المبحث الاول الارمن في التاريخ من حيث الموقع الجغرافي لأرمينيا، أصل الأرمن وسكناهم، الأرمن والأتراك، وجاء المبحث الثاني ليتناول المسألة الارمنية من خلال بحث الجذور التاريخية للمسألة ، والأرمن والحرب الروسية – العثمانية (١٨٧٧ -١٨٧٨)، فضلاً عن الحركات

الثورية الارمنية. في حين تناول المبحث الثالث الموقف الدولي من المسألة الارمنية، وجاءت الخاتمة التي تضمنت اهم الاستنتاجات.

واعتمد في اعداد البحث على مصادر مهمة ذات قيمة علمية وتاريخية: ومن هذه المصادر كتاب:

"William Yale, ,The Near East: A Modem History (London, 1958)"

وكتاب:

"Stanford J. Shaw &Ezel K.Shaw ,History Of The Ottoman Empire And Mode Turkey, (Cambridge, 1987) "

وهذه المصادر غنية بالمعلومات التي تم الرجوع اليها حول اصل الارمن وسكناهم وديانتهم وعلاقاتهم بالدول التي اقاموا فيها لاسيم الدولة العثمانية.

كما كان كتاب (السلطان عبد الحميد الثاني) بعنوان (مذكراتي السياسية ١٨٩١ - ١٩٠٨) المنشور من قبل مؤسسة الرسالة ط٢ قي بيروت ١٩٧٩. وكتاب "Mim Kemal The Oke" Armenian Quusestion ١٩١٤-١٩٢٣" وكذلك كتاب استارجيان بعنوان تاريخ الامة الارمنية المنشور في الموصل عام ١٩٥١. وقد أفادت هذه المصادر البحث في التعرف والاطلاع على كل مايتعلق بالمسالة الارمنية من حيث جذورها والحركات الثورية الارمنية والحرب الروسية العثمانية وكان لكل من كتاب " Willam Millrr " الموسوم بـ "The OttomanEmpire and its Sucessore"

وكتاب محمد الجاسر بعنوان "تركيا في ميدان الصراع بين الشرق والغرب" المنشور من قبل دار الفكر في دمشق ٢٠٠٢،وأطروحة الدكتور غسان وليد مصطفى الجوادي الموسومة بـ" المسألة الارمنية في الدولة العثمانية ١٨٧٨ -١٩١٨""، دور كبير في الاطلاع على الموقف الدولي من المسألة الارمنية.

المبحث الأول: الأرمن في التاريخ

ان الجغرافيا جزء متمم للتاريخ من حيث، إن كل حادث يحدث في العالم لابد ان يحدث فوق ارض ما، وان يقع على اناس معينين بايدي اناس آخرين.

وكان للتاريخ مايلي:

عامل ثابت هو الارض التي تجري فوقها الاحداث وعامل متحرك هم الناس الذين يعيشون فوق تلك الارض وتقع عليهم الأحداث، أو أن يكونوا سبباً في حدوثها.

وللتعرف على الارض في التاريخ، لابد من القاء نظرة على الموقع الجغرافي لارمينيا أولا، ودراسة حقيقة تاريخها من حيث اصل الارمن سكناهم ثانياً وبيان العلاقة مابين الارمن والاتراك ثالثاً.

اولاً: الموقع الجغرافي لأرمينيا

يقصد بأرمينيا التاريخية الأراضي التي سكنها الأرمن لحقب طويلة، إذ أصبحت مصطلحاً جغرافياً للإقليم (١)، وتقع أرمينيا التاريخية بين خط طول ٣٧ ْ -٤٧ ْ ، وهي تدخل في نطاق مناطق الزلازل في العالم. ويذكر التاريخ الارمني حدوث زلازل كثيرة في العصور السابقة، أشهرها ذلك الذي اصاب مدينة (أني)، عاصمة أرمينيا في القرون الوسطى وأدى الى دمارها عام ١٣١٩م. ولا يقل معدل ارتفاع الهضبة الارمنية عن سطح البحر عن ١٥٠٠ - ١٨٠٠ متر، حتى انها دعيت بالجزيرة الجبلية، ويلاحظ تنوع واضح في العوامل الطبيعية من مناخ وتربة فضلا عن التنوع في الثروتين النباتية والحيوانية. وقد فرض هذا التنوع ووجود السلاسل الجبلية الفاصلة بين مختلف أنحاء ارمينيا تأثيره الملزم على واقع السكان. وأبلغ ما يلاحظ ذلك في انتشار اللهجات المحلية فيما مضى انتشاراً واسعاً(٢).

فضلاً عن ذلك فان ارمينيا تقع بين سلسلتين من جبال القوقاز شمالاً وسلسلة جبال طوروس جنوباً، وتمتد بين آسيا الصغرى الى الغرب من نهر الفرات وبين اذربيجان والاقليم الواقع الى الجنوب الغربي من بحر الخزر شرقاً وبين البحر الاسود الى الشمال الغربي والقوقاز شمالاًوبين سهل الجزيرة (بلاد مابين النهرين Mesopotamia)(٣). شرق آسيا الصغرى، وبغض النظر عن الطبيعة القاسية لتضاريس الأرض، كانت طرق خارجية لاجتياح وسط وغرب وجنوب الأناضول. ومن سهل قيلقيا cilicia المقابل لجبل طوروس سلاسل تتجه شمالاً الى قيصرية بالاتجاه الشمال الشرقي الى جبال ارمينيا في ارضروم والتي تمتد جنوباً الى سلسلة جبال شمال وغرب بلاد فارس(٤). إن هذا الموقع جعل منها قلعة طبيعية ومنطقة صراع بين الإمبراطوريات المتنافسة عبر التاريخ لأهميتها من النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية (٥) .

وكانت التجارة تمر عبر هذه الاراضي المرتفعة بمحاذاة طرق القوافل ، وتمر إحدى الطرق التجارية عبر بغداد والموصل باتجاه ديار بكر، فضلاً عن وجود طرق اخرى للتجارة تمر عبر الجبال المرتفعة لتصل الى استانبول او الى بحر قزوين او الى البحر الاسود الى طرابزون(٦).

ثانياً: أصل الأرمن وسكناهم

الأرمن شعب آري موطنه بلاد ارمينيا ، لغته هندو -اوربية ذات ابجدية خاصة ترجع الى مشتوتس (في اوائل القرن الخامس الميلادي)[٧]. وهم من الاقليات التي سكنت في الدولة العثمانية[٨]، ولا يوجد اتفاق حول اصل الارمن بل ان اصلهم يكتنفه الغموض حتى في اوساط الباحثين الارمن . ويشير بعض الباحثين الارمن الى انهم ينحدرون من بابل، بينما يزعم الآخرين انهم ينحدرون من ارام بن نوح (عليه السلام)، وهناك إشارة على أنهم ينحدرون أو ينتمون إلى جنس طوران وهناك من يرى انهم من اسرة إيرانية، واخرين يشيرون إلى أنهم مزيج من اصول هندية – افغانية – اشورية – تركية[٩].

ويميل هيرودتوتس Herodote[١٠] الى ان الارمن قد سكنوا البلقان أولا، وتحديداً في تراقيا وكانوا من ضمن القبائل التي سكنت هناك بدليل استخدامهم نفس السلاح المستخدم من قبل القبائل، وبسبب الصراعات والحروب التي شهدتها المنطقة غادر الارمن كبقية السكان الى ان وصلوا الى ارمينيا بعد اضمحلال الدولة الاوراردية في اواخر القرن السابع الميلادي. وبذلك يكون الارمن قد سكنوا اماكن ستراتيجية في شبه جزيرة الأناضول، وكانت محور اهتمام الدول المجاورة، وغدت منطقة نزاع عبر التاريخ بين الامبراطوريتين البيزنطية والفارسية، وقد شكل الارمن عبر تاريخهم عدة امارات ودول وقعت تحت سيطرة الدول المجاورة، ومنذ فجر الاسلام والفتوحات الاسلامية وانتصار المسلمين على الفرس والبيزنطنيين، اصبح الارمن تحت حكم العرب المسلمين تارة وحكم البيزنطيين تارة أخرى[١١].

ادعى بعض الاوربيين والارساليات التنصيرية بوجود اكثر من مليوني ارمني في مقاطعات الدولة العثمانية، أما دائرة الإحصاء العثمانية فكانت تميل وباستمرار الى تسجيل السكان فيما يعرف بنظام بطاقة الهوية، لوحظ عدد الارمن من طائفة الأرثوذكس (الغريغوريون) بلغ حوالي (٩٨٨,٨٨٧) نسمة. وإذا فرضنا إن ثلثي العدد من الكاثوليك اي (١٦٠,١٦٦) نسمة و(٣٦,٣٣٩) من البروتستانت وجميعهم من اصل الارمني، إذ يكون بالإمكان الاستنتاج إن عدد الأرمن في الدولة العثمانية كان حوالي (١,٢٥٠,٥٠٠) نسمة عدا الولايات العثمانية التي لم يتم مسحها في كل من: اليمن وطرابلس وبنغازي وليبيا ومصر وتونس وهيكاز. ومن الجدير بالملاحظة ان استانبول لم يكن يقطنها من الارمن سوى (٩٧,٧٨٢) نسمة من طائفة الأرثوذكس (الغريغوريون)، و(٤٠٧) نسمة من طائفة الكاثوليك، و(٣٤٠) من طائفة البروتستانت اي مايقارب (١٨%) من مجموع السكان البالغ (٥٤٢,٣٧) نسمة بحسب احصاء عام ١٨٧٨[١٢].

ينقسم الأرمن إلى ثلاث طوائف هـي: الأرثـوذكس (الغريغوريـون) والكاثوليـك[١٣] والبروتستانت، وفي حقيقة الأمر لم يشكل الأرمن الأغلبية في الولايـات العثمانيـة، وكـانوا خارج المدن الرئيسة متداخلين مع المزارعين المسلمين والقبائل البدوية المنحدرة من اصـول كردية او تركية([١٤])، وبناءً على الاحصائات السكانية للعامين ١٨٩٠ -١٨٩٤ تراوحت الكثافة السكانية للأرمن في السناجق والولايات العثمانية بين ٠،١ و ٥٠%،من السكان ويعود ذلك إلى الهجرة المستمرة من هذه المناطق إلى استانبول أو إلى روسيا القيصرية لأسباب اقتصادية أو لأسباب سياسية ([١٥]).

عاش الأرمن كبقية سكان الدولة العثمانية في مشاكل اقتصادية واجتماعيـة ومـشاكل اخرى، وقد أثرت هذه الأوضاع على سكان الدولة كافة من مسلمين ونصارى على حد سواء، وعلى الرغم من تردي الاوضاع فان قادة الارمن كانوا يرغبون بالحفاظ على الاوضاع كمـا هي، لرغبتهم بالبقاء في مناصبهم في السلطة والدولة. وكان تعـداد الارمـن فـي الولايـات العثمانية في عام ١٨٨٢ كما موضح في الجدول رقم (١):[١٦]

الجدول رقم (١)

الولاية	الأرثوذكس (الغريغوريون)	الكاثوليك	البروتستانت	المجموع	التعداد الكلي للسكان	النسبة المئوية للارمن
ارضروم	١٠١,١٣٨	٦,٧٣٠	١,٩٧٠	١٠٩,٨٣٨	٦٥٩,١٥٥	%١٦,٦
بتليس	١٠١,٣٥٨	٤,٩٤٨	١,٤٩٨	١٠٧,٨٠٤	٢٧٦,٩٩٨	%٣٨,٩
وان	٦٠,٤٤٨	ــــــ	ــــــ	٦٠,٤٤٨	٢٦٩,٨٦٠	%٢٢,٣
ديار بكر	٤٦,٨٣٣	٩,٩٥٥	٣,٩٨١	٦٠,٧٦٩	٢٨٩,٥٩١	%٢٠,٩٨
معمورة العزيز	٧٣,١٧٨	١,٩١٥	٤,٩٧١	٨٠,٠٤٦	٤٨١,٣٤٦	%١٦,٦
سيواس	١١٦,٢٥٦	٣,٢٢٣	١,٩٩٤	١٢١,٤٧٣	٩٢٦,٥٦٤	%١٣,١

وفي الجدول رقم (٢)يبين التعداد السكاني للارمن لعام ١٨٨٢ في الاقضية الكبيرة في شـــرق الأناضول[١٧].

الجدول رقم (٢)

الولاية	الأرثوذكس (الغريغوريون)	الكاثوليك	البروتستانت	المجموع	التعداد الكلي للسكان	النسبة المئوية للارمن
ارضروم	٩,٧٣٠	٧٩١	٣٢٩	١٠,٨٥٠	٣٨,٦٨٤	%٢٨,٠٤
ارض انكان	١٢,٦٨٦	ــــــ	٨٨	١٢,٧٧٤	٥٤,٥٠٣	%٢٣,٤٣
اورفة	٩,٦٢٢	٣٤٨	٦٣٦	١٠,٦٠٦	٧٠,٦٦٥	%١٥,٠٠
سيس	١٤,٢٦	٥٦	٨٧	١٤,١٦٩	٢٠٥٢٣	%٢٩,٠٣
هيشين	١٠,٢٠٤	١٤٥	٦٨٢	١١,٠٣١	٢٤,٠٥٧	%٤٥,٨٥
قيصرية	٢٥,٢٥٠	٧٦٥	١,٣١٥	٢٧,٣٣٠	١٣٠,٨٩٩	%٢٠,٨٧
ديار بكر	١٢,٠٨٣	٢,٥٦٠	٩٨٣	١٥,٦٢٦	٦٢,٨٧٠	%٢٤,٨٥
سيواس	٢٠,٤٦٦	١,٥٩٢	٨٩	٢٢,١٤٧	٨٨,٣٧٥	%٢٥,٠٦
طرابزون	٩,٥٤٦	١,٢٠٩	٩١	١٠,٨٤٦	١١٧,٥٦٣	%٩,٢٢
وان	٣٣,٠٥٣	ــــــ	ــــــ	٣٣,٠٥٣	٥١,١٤٩	%٦٤,٦٢

وفي الجدول رقم (٣) يبين التعداد السكاني للارمن في عمـــوم الدولـــة العثمانيـــة للاعـــوام ١٨٨٢و١٨٩٥و١٩٠٦[١٨].

الجدول رقم (٣)

السنة	الأرثوذكس (الغريغوريون)	الكاثوليك	البروتستانت	العدد الكلي للارمن	التعداد الكلي للسكان	النسبة المئوية للارمن
١٨٨٢	٩٨٨,٨٨٧	١٠٠,١٦٠	٣٦,٣٣٩	١,١٢٥,٣٨٦	١٧,٣٧٥,٢٢٥	%٦,٤٧
١٨٩٥	١,٠٤٢,٣٧٤	٨٠,٣٣٤	٤٤,٣٦٠	١,١٦٧,٠٦٨	١٩,٠٥٠,٣٠٧	%٦,١٢
١٩٠٦	١,١٤٠,٥٦٣	٩٠,٠٥٠	٥٣,٨٨٠	١,٢٨٠,٤٩٣	٢٠,٩٤٧,٦١٧	%٦,١٠

ولابد من الاشارة الى ان الارمن لم يقطنو ارمينيا لوحدهم بل عاشت الى جانبهم قوميات اخرى كالعرب والاكراد والاتراك، وهي ذات انتماءات دينية مختلفة، مسلمة ونصرانية. ولكن كان الارمن والاكراد من القوميات التي حاولت ان تحتفظ بخصوصيتها. ومازال هناك شك لدى علماء الانثربولوجيا فيما يتعلق بالارث العرقي لهذين الشعبين (الارمني والكردي)، فكلاهما يتحدث اللغة الهندو– أوربية. سكن الأرمن في المنطقة الشمالية من أرمينيا، غير أنهم انتشروا باتجاه الغرب الى هضبة الاناضول بالقرب من سيواس (Sives) والى جبال طوروس وجبال (anti- Taurus) التي تقع حدودها على سهل قيلقيا(cilicia) وسوريا فضلاً عن انتشارهم باتجاه الشمال الشرقي عبر القفقاس. أما الاكراد فقد كانت اقامتهم في الجزء الشمالي من بلاد مابين النهرين وفي جبال زاجروس غرب بلاد فارس. عمل الأرمن بالزراعة والإعمال الحرفية والتجارة، في حين استمر الاكراد على حياة البداوة وبنوا حياتهم على اسس قبلية[١٩].

أما الفتوحات الاسلامية التي وصلت الى أرمينيا، في عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، فقد انتهت الى معاهدة بين الجانبين في عهد الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) (عام ٣١هـ /٦٥٢م) ومنذ ذلك الحين قامت علاقات تعاون وثيق بين الجانبين على امتداد القرون التالية، وبلغت ذروتها في العهدين الأموية والعباسية بما في ذلك خوض حروب مشتركة ضد الخزر (في منطقة بحر قزوين). ومن المهم إن نذكر إن النزاعات المستمرة بين الارمن والاكراد في أرمينيا، أدت إلى تمكن الديانة النصرانية في عام ٣٠٠م، وتم إيجاد هجائية محلية للارمن وترجم اليها الانجيل اليوناني من قبل القس ميسروب. وقد خلق هذا الحدث سمة جديدة للأرمن. أما الأرمن فقد وصلتهم الفتوحات الاسلامية واعتنقوا الاسلام . ومنذ القرن السابع وما تلاه عاش الارمن والاكراد من فلاحين وحرفين وتجار في نزاع دائم[٢٠].

ثالثاً: الأرمن والأتراك

ضمت الدولة العثمانية في كيانها السياسي مجموعات كبيرة من التشكيلات الإثنية والأقليات العرقية، وكانت فسيفساء الشعوب التي تحكمها بمثابة لوحة من الموزاييك استمرت بديعة المنظر فترة من الزمان، توحي بالتناسق والتناغم، طالما بقيت الدولة قوية، وقليلاً ما كانت تسمى (ايالة الروملي). وكان استمرار الحملات العسكرية العثمانية التي جاءت في اعقاب سقوط الامبراطورية البيزنطية، قد خلقت وضعاً جديداً للارمن اذ ايقنوا ان دولة مسلمة قوية تحكم المنطقة وتم قبولهم رعايا للدولة كاقليات ضمن نظام الملة العثماني[٢١].

اسفرت الحروب المتعاقبة بين الدولتين العثمانية والفارسية عن تقسيم ارمينيا بينهما فاطلق اسم ارمينيا العثمانية على ست ولايات عثمانية هي: ارضروم، وان، بتليس، ديار بكر، خاربوط، سيواس،كما موضح في الخارطة المرفقة بالبحث وأطلق اسم أرمينيا الفارسية على المناطق الممتدة على الضفتين الشرقية والغربية لنهر آراكس واستولى عليها الروس منذ عام ١٨٢٨. ولما كان الجاثليق – الاب الروحي للأرمن– يقيم في الغالب ((بايتشمادزين)) خارج نطاق الدولة العثمانية، فقد أسس السلطان محمد الفاتح (١٤٥١ - ١٤٨١) بطريركية ارمنية، في استانبول عام ١٤٦١، وعين البطريرك الارمني رئيساً رسميا لها، وعلى الرغم من عدم استيلاء الدولة العثمانية على اجزاء ارمينيا ، الا اثناء حروبها مع الدولة الصفوية في بداية القرن السادس عشر، وبذلك لم تكن تخضع اعداد كبيرة من الارمن للدولة العثمانية ابان هذه الفترة[٢٢].

كان الشعب الارمني واحداً من الشعوب التي قطنت في الدولة العثمانية، اذ عاشوا في كنفها بسلام وارتبطوا معهم بعلاقات ودية وشاركوا في ادارة الدولة، واكتسبوا ثقة العثمانيين، وفي حقيقة الامر عاش الارمن في مناطق واسعة في الدولة العثمانية موزعين بحسب التشكيلات العثمانية الى ست ولايات كما اشرنا[٢٣].

وقد ضمن العثمانيين للارمن استقلالهم الديني والحضاري تحت رعاية البطريركية الارمنية في استانبول. فضلاً عن قيام العثمانيين بمنح الارمن مكانة الاغريق في المدارس والوظائف لاتقانهم اللغات الاجنبية ،والتمويل والتجربة في التجارة، وقد برعوا في فروع التنظيمات المعقدة ولاسيما في وزارات المالية والداخلية والخارجية والتعليم والعدل والاشغال العامة وفي اعمال البريد والبرقيات واعمال الاحصاء وفي اعمال سكك الحديد[٢٤]. ونتيجة للتعايش السلمي بين الطرفين العثماني والارمني فقد تمكن الارمن من تولي مناصب ووظائف مهمة في الدولة العثمانية، فضلاً عن مشاركتهم في الحركة الإصلاحية، ولهم ممثلين في المجالس الادارية والمحلية وخدموا في المجالات كافة[٢٥]. لقرون عديدة، وقد شارك كريكور

أفندي مع مدحت باشا في وضع مسودة دستور ١٨٧٦، وقبل إن يصدر قانون الانتخابات مثل الأرمن في مجلس المبعوثان ([٢٦]).

وكان الأرمن يتمتعون بحرية العقيدة. ولما كانوا معفوون من الخدمة العسكرية فقد انصرفوا للعمل في التجارة والصيرفة والصياغة والزراعة. وخلال مئات الأعوام– أي حتى اواخر القرن التاسع عشر– خلا تاريخهم من أي حركة عصيان مسلحة، حتى أن الاتراك أطلقوا عليهم لقب (الأمة المخلصة) وكانت أعلى الوظائف الحكومية متاحة لهم، فكان منهم الوزراء والأعيان والنواب والمستشارون. وندرج في ادناه بعض من تقلد منهم مناصب رفيعة المستوى في الدولة العثمانية[٢٧]، من وزراء واعيان ونواب وفق الجداول الاتية:

الوزراء:

ت	اسم الوزير	الوزارة
١.	آغوب كازازيان باشا	المالية
٢.	غارابيت آرتن داود باشا	البريد والبرق
٣.	آندون تنغر ياور باشا	البريد والبرق
٤.	اوسكان ماردكيان	البريد والبرق
٥.	برودس حلاجيان	الشؤون الاجتماعية
٦.	المحامي كريكور سينابيان	الشؤون الاجتماعية
٧.	كريكور نغاتون	الشؤون الاجتماعية
٨.	جبرائيل نورادونكيان	الشؤون الاجتماعية
٩.	جبرائيل نورادونكيان	الخارجية
١٠.	اوهانيس صاكيز باشا	الخزانة
١١.	ميخائيل بورتقاليان باشا	الخزانة الخاصة

الأعيان:

ت	اسم العين
١.	اوهانيس كيوميجان باشا
٢.	ابراهام اراميان باشا
٣.	مانوك ازاريان
٤.	جبرائيل نورادونكيان

النواب:

أ : في المجلس النيابي لعام ١٨٧٦م (المشروطية الاولى)

ت	اسم النائب	اسم الدائرة الانتخابية
١.	اوهانيس الله ويردي	وكيل رئيس المجلس النيابي
٢.	صبوح ماقصوديان	استانبول
٣.	روين يازجيان	أدرنة
٤.	ساهاك باورميان	بورصة
٥.	هامازاسب بالايان	ارضروم
٦.	مانوك قارجيان	حلب
٧.	ميخائيل آلتن طوب	انقرة
٨.	آغوب شاهنيان	سيواس
٩.	تانيل قارجيان	ارضروم

ب: في المجلس النيابي لعام ١٩٠٨ (المشروطية الثانية)

ت	اسم النائب	اسم الدائرة الانتخابية
١.	كريكور زوهراب	استانبول
٢.	بدروس حلاجيان	استانبول
٣.	آغوب بابكيان	تكرداغ
٤.	آغوب بوياجيان	تكرداغ
٥.	آرتين بوشكيزيان	حلب
٦.	الدكتور نزارات داغاواريان	سيواس
٧.	اسطيفان اسبارتاليان	ازمير
٨.	هاميرسوم بوياجيان	كوزان
٩.	كغام درغارابديان	موش
١٠.	كراكين باسترماجيان	ارضروم
١١.	واهان بابازيان	وان

ولم يحدث ان شكل الارمن اية مشكلة للدولة العثمانية بل على العكس من ذلك فقد ساهموا ببناء الدولة ودخلوا في الدائرة العثمانية دون اية صعوبات لأسباب منها:

١. لم يكن لهم دولة ينضمون إليها.

٢. انقسام الأرمن إلى ثلاثة طوائف هي: الكاثوليك و الأرثوذكس (الغريغوريون) والبروتستانت. وغالباً ما يحصل الاختلاف في الراي بين هذه الطوائف.

٣. سكن الأرمن بين القبائل الكردية.

٤. لم يكن الارمن يعيشون في دولة واحدة فقد توزعوا بين الدولة العثمانية وروسيا القيصرية وبلاد فارس ،ولم يكن من مصلحة اي من هاتين الدولتين مساندتهم من اجل استقلالهم عن الدولة العثمانية[٢٨].

منذ مطلع القرن التاسع عشر وبسبب التحفيز الذي اثاره نشاط الارساليات التنصيرية بدأت بين الارمن التوجهات القومية والحضارية لاسيما بين الطائفتين البروتستانت والكاثوليك، إذ طوروا المراكز الثقافية الخاصة بهم واحيوا الدراسات الارمنية القديمة، كما طبعوا الانجيل باللغة العامية، بدلاً من لغة الكنيسة التقليدية، فضلاً عن سعيهم لتطوير لغة الادب الارمني كي تصبح اكثر فهماً للجماهير. وكرد فعل على ماقام به ابناء هاتين الطائفتين (البروتستانت والكاثوليك)، بدأت طائفة الأرثوذكس (الغريغوريون) بنهضة ثقافية، ونتيجة لذلك تم ارسال ابناء الاغنياء من ابناء الطائفة للدراسة في فرنسا، إذ تأثروا بالثقافة الفرنسية، وطالبوا بعد عودتهم باجراء اصلاحات داخل الطائفة ، فضلاً عن مطالبتهم بالعلمانية والحكم الذاتي. وفي ستينيات القرن التاسع عشر انضم القوميون الارمن مع الشباب العثمانيين، وطالبوا الحكومة العثمانية بتمثيل كل طائفة في الحكومة حسب ما كان عليه نظام الملة، في الحكومة العثمانية، ومن الجدير بالذكر ان الارمن الذين طالبوا بالاستقلال عن الدولة العثمانية لقوا معارضة شديدة من قبل مؤسسة الملة لاسيما اثريائهم من التجار والموظفين الذين ازدهرت اوضاعهم في ظل الحكم العثماني[٢٩].

وبسبب الثورات القومية التي حدثت في الولايات التابعة للدولة العثمانية، تمكن تلك القوميات من نيل استقلالها كما حصل مع اليونانيين في عام ١٨٢٨ من ناحية، وعدم الاستقرار في البلقان وما تبعه من مشاكل للدولة العثمانية من ناحية اخرى ،اذ بدأ زعمائهم في أيلول ١٨٧٦ بحملة تحريض بين الأرمن وقدموا الشكاوي إلى الحكومة العثمانية والسفير البريطاني في استانبول ضد جباة الضرائب ، وعدم توفير الأمن بين السكان. (٣٠) مما نتج عن كل ذلك تحرك الأرمن ضد الدولة، ووصلت معلومات الى السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ -١٨٣٩) بان الارمن يتامرون عليه وبدأت حملة من الاعتقالات في صفوفهم الا ان السلطان انهى تلك الاوضاع بأعترافه في عام ١٨٣٠ بالطائفة الكاثوليكة كمجموعة دينية

منفصلة، ويبدو للمتابع في هذا الشان ان اهمية هذه المسألة ازدادت للفرنسيين بوصفهم حماة الكاثوليك في العالم عامة والدولة العثمانية خاصة فاخذوا الاهتمام بهم من جديد[٣١].

وكانت التنظيمات العثمانية التي جاءت في عهد السلطان عبد المجيد (١٨٣٩-١٨٦١) عام ١٨٣٩[٣٢]، لتعطي فرصة للتجار والاثرياء الارمن ليزداد الصراع بينهم للسيطرة على شؤون الاقلية الارمنية . وبعد العديد من التقلبات والتغيرات في هذا الصراع تم تاسيس مجلس اكليركيامربيا على اساس اعطاء ممثلين مؤثرين للشعب الارمني . وبعد صدور خط شريف همايون عام ١٨٥٦[٣٣]، حصل الأرمن عام ١٨٦٠ على قانون اجراءات تم بموجبها حصول الارمن على الكثير من الاجراءات الاصلاحية في المؤسسة الدينية والمدنية[٣٤].

وفي حقيقة الأمر لم نجد في المصادر المهمة التي تتعلق في القرن التاسع عشر إخبارا تتعلق بالأرمن ، مما يعني عدم ضرورة الكتابة في تاريخهم في تلك الحقبة ، حتى إنهم أنفسهم لم يكتبوا عن تلك الفترة ، وعليه وعلى مدى التاريخ العثماني حتى الحرب العثمانية الروسية ١٨٧٧-١٨٧٨ ، لم يكن هناك مايسمى بالمسالة الارمنية ([٣٥]).

المبحث الثاني: المسألة الارمنية

سيتم تناول المسألة الارمنية من حيث التعرف على، الجذور التاريخية أولا، والأرمن والحرب الروسية – العثمانية (١٨٧٧-١٨٧٨) ثانياً، والحركات الثورية الارمنية ثالثاً.

١.الجذور التاريخية للمسألة

أدّى الموقع الجغرافي دوراً مهماً في إنهاء حكم الإمارات التي شكلها الأرمن عبر تاريخهم، اذ اصبحت مسرحاً للصراع الذي دار على أراضيها بين الدول والإمبراطوريات المجاورة، فوقعت تحت سيطرة الإمبراطورية البيزنطية تارة والإمبراطورية الفارسية تارة أخرى. وبذلك تكون جزءً من الدولة التي تضمها إليها[٣٦]. مما تسبب في انتقالهم إلى غرب الأناضول، وأصبح عددهم في المناطق التي سكنوها لايشكلون أغلبية عددية بالنسبة إلى السكان المسلمين الذين شاركوهم في المنطقة نفسها. وبسبب التغيرات التي حصلت في الدولة العثمانية وادت الى اضعافها خلال القرن التاسع عشر، انتهزوا الفرصة للمطالبة بتجديد ملكهم القديم،إذ كان لرجال الدين الدور الواضح في التحريض ضد الدولة والمطالبة بمنح أرمينيا الغربية والأرمن امتيازات ، فضلاً عن استغلالهم لمرحلة الإصلاحات العثمانية من اجل الحصول على الحكم الذاتي ([٣٧]).

كان شباب الأرمن القادمين من أوربا هم المطالبين بذلك، فقد عادوا من أوربا مشبعين بالأفكار الانفصالية عن الدولة العثمانية. وعند صدور قرار من السلطان عبد الحميد الثاني

(١٨٧٦ - ١٩٠٩) بإغلاق بعض المدارس الارمنية التي تدعو إلى الثورة، ثار الأرمن ووصلوا إلى العاصمة مطالبين من بطريركهم مقابلة السلطان بالرجوع عن قراره في إغلاق تلك المدارس ولما رأوا فتور في موقف السلطان وعدم الموافقة على إعادة فتح تلك المدارس حاولوا اغتياله، وفروا إلى المناطق الجبلية، ومنذ ذلك الوقت ظهرت الثورة الارمنية في جبل ساسون في سنجق موش في ولاية تبليس وامتنعوا عن دفع الضرائب فأرسل السلطان جيشاً لتأديبهم، ومنذ ذلك الحين بدأ التدخل الدولي في هذا الشأن من خلال الصحافة وإثارة الرأي العام ضد الدولة العثمانية(٣٨).

وفي القرن التاسع عشر قسمت أرمينيا إلى قسمين القسم الغربي وهو القسم الأكبر الذي عرف بأرمينيا التركية الواقعة ضمن مناطق نفوذ الدولة العثمانية ، وأرمينيا الروسية وهي الجزء الأصغر الذي يقع ضمن مناطق النفوذ الروسي. وعلى الرغم من إن الجزئيين من أرمينيا لم ينالا اهتمام الحكومتين العثمانية والروسية حتى في ظل الاحتجاجات المقدمة من قبل بطريرك القسطنطينية. الذي طالب بالاستقلال أو الحكم الذاتي، ومنذ تسنم السلطان عبد الحميد الثاني الحكم في عام ١٨٧٦، سارع الروس بإعلان الحرب على الدولة العثمانية عام ١٨٧٧ - ١٨٧٨، ومنذ ذلك الحين ظهرت المسألة الارمنية على الصعيد الدولي(٣٩). إذ سعت روسيا القيصرية للمطالبة باستقلال الأرمن من اجل تحقيق إطماعها في الدولة العثمانية، لاسيما بعد نمو الحركات القومية في البلقان وحصول بعض دوله على الاستقلال عن الدولة العثمانية، وكانت هذه الطريقة المثلى للتدخل بالشؤون الداخلية للدولة العثمانية، ومما ساعد الروس على ذلك وجود الإرساليات التنصيرية التي قامت بدورها ببث روح الكراهية لدى الأرمن ضد الأتراك العثمانيين، وإظهار مدى الظلم الذي قد وقع عليهم من خلال ما بثته هذه الإرساليات التنصيرية في صفوفهم ، مما نتج عنه تشكيل مجموعات تعمل على مهاجمة المؤسسات العثمانية(٤٠).

ان ظهور ما عرف بالمسالة الارمنية كان وليد اللعبة الدولية التي بدأت مع ضعف الدولة العثمانية، فالهزيمة امام روسيا القيصرية أدت عام ١٨٧٨م إلى ذكر أرمينيا في معاهدات دولية، مثل معاهدتي سان ستيفانو ١٨٧٨ ومعاهدة برلين ١٨٧٨، إذ مارست بريطانيا ضغوطاً على الدولة العثمانية من اجل إدراج مادة في معاهدة برلين تتعلق باجراء الإصلاحات في شؤون الأرمن(٤١).

وافقت الدولة العثمانية فيها تحت تأثير الهزيمة العسكرية على عدد من البنود على حساب الأراضي التابعة لها، في أوربا واسيا، بينما رفض السلطان عبد الحميد الثاني تطبيق تلك البنود لاحقاً. وهنا بدء تقول المصادر الغربية والارمنية بالاشارة الى انه قتل زهاء ٣٠٠ إلف من الأرمن بين عامي ١٨٩٤ و١٨٩٦م. بينما تشير المصادر التركية الى مقتل ما بين

٣٠٠ و٥٠٠ إلف ارمني في الحروب التي دارت في إنحاء البلاد، وكان ضحاياها من مختلف الشعوب وليس من الارمن فقط، ولم تكن في صيغة (إبادة) وفق تعريف القانون الدولي للكلمة، وهو ما يعني –عند الاعتراف بذلك- سلسلة من التبعات السياسية، بما في ذلك التعويضات المالية[٤٢].

يقول السلطان عبد الحميد الثاني في مذكراته كأهم شاهد على بداية الإحداث: ((لم تكن المشكلة الارمنية مشكلة الأرمن أنفسهم واستطيع القول –وانأ مرتاح القلب - إن الأرمن أفضل من يتبنون العثمانية، وأفضل من يمثلونها، لقد خدموا حضارتنا وعملوا على دولتنا، وظهر فيهم عثمانيون ممتازون بخدماتهم وحسن صداقتهم ولم تكن للأرمن منا شكوى قط، ولكن الروس– لكي يصلوا إلى أمالهم في بلغاريا، ولكي يقطفوا من الإمبراطورية العثمانية قطعة جديدة - لفوا الأرمن حول إصبعهم احتواءً. أرسلوا جواسيسهم بصحبة قساوستهم ومعلميهم إلى الأرمن، فألبوا علينا، وانغمس هولاء في المغامرة))[٤٣].

والمسالة الأرمنية في الحقيقة جزء من خطط الدول الكبرى لتفتيت الدولة العثمانية وتقسيم ممتلكاتها، فكانت روسيا القيصرية تسعى لبسط نفوذها على شرقي الأناضول والوصول إلى البحر المتوسط. وإما بريطانيا فتخلت عن سياسة الحفاظ على وحدة الأراضي العثمانية وتبنت سياسة إيجاد دولة ارمنية موالية لبريطانيا تقف أمام التوسع الروسي، كما أنها بذلت أقصى ما في وسعها لإثارة المسالة الارمنية لكي تبعد عن الأذهان إعمال تدخلها في مصر. وكانت تعمل جاهدة على تركيز انتباه العالم على الدولة العثمانية[٤٤].

ثانياً: الأرمن والحرب الروسية- العثمانية ١٨٧٧- ١٨٧٨م.

كانت روسيا القيصرية ترغب بالوصول إلى المياه الدافئة لأسباب دينية واقتصادية وجغرافية وقد نص القيصر الروسي بطرس الأكبر (١٦٨٩ - ١٧٢٥م) في وصيته للروس في الفقرات ٩ و١١ و١٣ من الوصية، على ضرورة الصراع الحضاري ضد العثمانيين الى ان تنتهي الدولة العثمانية[٤٥].

وعندما أعلنت روسيا القيصرية الحرب على الدولة العثمانية في نيسان عام ١٨٧٧م، علق الأرمن أمالا كبيرة في انتصارها على الدولة العثمانية فقدموا المساعدات للروس وانضموا الى الجيش الروسي، وعند وصول الجيش الروسي إلى مشارف استانبول في كانون الثاني ١٨٧٨م طلب السلطان عبد الحميد الثاني الصلح وإنهاء الحرب سارع الأسطول الانكليزي بالدخول الى المضايق تهديداً للروس في حالة عدم الانسحاب والهجوم على استانبول[٤٦]. وقد نهج الروس احكم الطرق في هذه الظروف، فقد عقدت روسيا القيصرية صلحاً منفرداً مع الدولة العثمانية في سان ستيفانو في ١٩ شباط إلى ٣ آذار ١٨٧٨. وكانت

روسيا تأمل من ذلك الاحتفاظ بجميع مكاسبها من الأراضي التي احتلتها[٤٧]. اذ حصلت روسيا على مقاطعات قارص واردهان التي تقطنها الطوائف الارمنية الثلاث[٤٨].

تحولت القضية الارمنية بعد الحرب الروسية - العثمانية من قضية محلية قضية دولية وذلك بإدخال مادة خاصة في معاهدة سان ستيفانو عام ١٨٧٨. وجاء في المادة السادسة عشر ان جلاء القوات الروسية عن أرمينيا العثمانية وإعادة هذه البلاد إلى الحكم العثماني قد يؤديان الى وقوع خلاف بين الحكومتين العثمانية والروسية، ولهذا تعهد الباب العالي بإدخال إصلاحات طبقاً للاحتياجات المحلية في المناطق التي يسكنها الأرمن، وتعهد الباب العالي أيضا بتأمين السكان النصارى من اعتداءات الأكراد والشراكسة[٤٩]. ولكن معاهدة سان ستيفانو لم تنفذ لاعتراض الدول الكبرى عليها لانفراد روسيا القيصرية بالمكاسب على حساب الدولة العثمانية، ودعت الدول الأوربية الكبرى إلى عقد مؤتمر لتعديلها، وعقد المؤتمر في برلين ١٨٧٨. وفي نهاية المؤتمر وقعت الدول الأعضاء بريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، والنمسا والمجر، وروسيا القيصرية، والدولة العثمانية على معاهدة برلين[٥٠]. وقدم الأرمن مذكرة عرضوا فيها مطالبهم، إذ يتطلعون إلى إقامة دولة لهم في شرق الأناضول برعاية روسيا القيصرية[٥١]، لكن المادة ٦١ من معاهدة برلين ١٨٧٨ نصت على إجراء الإصلاحات في أرمينيا[٥٢]. وهكذا أحبطت المعاهدة أمال الأرمن، وقد علق احد المفاوضين الفرنسيين عليها بقوله: ((إن الدبلوماسية التي من طبيعتها اعتماد إنصاف الحلول لم تأت في أي يوم من الأيام سوى بإعمال ناقصة، مشوهة مؤقتة))[٥٣].

إن ورود هذه المادة في معاهدة برلين تتعلق بالأرمن يعني إلزام العثمانيين بما جاء فيها، مما يعني قيام الدولة العثمانية بالالتزام في اتفاقها مع الانكليز فيما يتعلق بقبرص[٥٤]. ومن الجدير بالذكر إن الاتفاق بين الدولة العثمانية وبريطانيا الذي وقع في استانبول في حزيران ١٨٧٨، نصت المادة الأولى منه على ((ان تقوم الدولة العثمانية باصلاحات في ممالكها الإصلاحية اللازمة التي سيحصل الاتفاق عليها بعد ذلك وكيفية إجرائها وان تحمي المسيحيين وغيرهم من الرعايا القاطنين في الدولة العثمانية))[٥٥].

إما موقف السلطان عبد الحميد الثاني فقد تمثل بالصلابة إمام جميع المحاولات والتهديدات الدولية المتعلقة بإجراء إصلاحات في المقاطعات الارمنية التي نصت عليها معاهدة برلين، وقد جعلت انكلترا المسألة الارمنية كورقة ضغط على الدولة العثمانية، ووجهت إنذاراً إلى السلطان بضرورة الالتزام بنص المادة ٦١ من معاهدة برلين، وعززت إنذارها بنقل الأسطول الانكليزي من ميناء الإسكندرية الى جناق قلعة على مشارف استانبول. لكن السلطان إصر على موقفه بعدم إجراء الإصلاحات معتمداً على الموقف الدولي الذي كان بعيدا عن الموقف الانكليزي، إذ تمكن السلطان من استمالة كل من فرنسا وروسيا وأرسل مذكرة رسمية

إلى انكلترا، اعتبر فيها الأخيرة تتدخل في الشؤون الداخلية لدولة مستقلة لذا لم تتمكن من تنفيذ تهديدها وسحبت أسطولها[٥٦].

عاش الأرمن خيبة أمل قاسية على ما ترتب من نتائج لمؤتمر برلين وقال البطريرك الارمني في احتجاجه الرسمي على الموقف الدولي ((من سيرجع ألاف الأرمن إلى الشرق حاملاً معه درسه وأفكاره، إن من دون النضال ودون العصيان المسلح لا يمكن الحصول على شيء))[٥٧].

جاءت الثورة الارمنية بعد عامين من معاهدة برلين ١٨٧٨، وبعد الانسحاب الروسي من الأراضي العثمانية، ومن دون شك وصلت إنباء نشاطات الأرمن إلى السلطان عبد الحميد الثاني والتخطيط للثورة، لاسيما الكتاب والمتعاطفين معهم من الأوربيين والأمريكان يروجون للثورة، فضلاً عن إن لديهم الأسباب التي تدعوهم إلى الإطاحة بالنظام الموجود في كل من الدولة العثمانية وروسيا القيصرية[٥٨].

كان لهذا الاحتجاج الأثر البالغ لدى الشعب الارمني، وشجع على اكتشاف التوجه الثوري لديهم. ونتيجةً لانشغال الدول الكبرى فيما بينها بالتنافس مع بعضها على المستعمرات لم تعطِ اهتماما كافيا لتحذير البطرياك والدعوة إلى الثورة. ومهما يكن من أمر فان الأرمن بدأوا بالتوجه نحو العنف من اجل تحقيق أهدافهم، وعملت الجمعيات والأحزاب التي ظهرت إلى نشر الدوريات والنشرات وإرسالها الى داخل الدولة العثمانية عن طريق دوائر البريد الخارجي. واشد الجمعيات الارمنية عنفاً هي الجمعيات التي كانت في العاصمة الجورجية تفليس، وكانت ترسل الأسلحة والمتفجرات إلى المقاطعات العثمانية وأرسلوا العملاء إلى القرى المسلمة لإرهابهم، وقد استقبلت المطالب الارمنية بنوع من الفتور من قبل الإطراف المختلفة لأنهم يختلفون عن الصرب والبلغار فلم يكن لهم منطقة واحدة يشكلون فيها الأغلبية[٥٩]. ومن الإعمال التي قام بها حزب الطشناق الارمني هو التخطيط لاغتيال السلطان عبد الحميد الثاني في عام ١٩٠٥ ([٦٠]).

ومن الاهمية التأكيد على حقيقة هي، إن الحكومات في القرون السابقة وحتى ألان في الشرق والغرب كانت تعتمد على النظام الاجتماعي الموجود، فضلاً عن المؤيدين والمفضلين لذلك النظام، يسعون إلى استخدام جميع الوسائل الكفيلة بإنهاء أي حركة ضد النظام وانهائها، وفي هذه الحال سيفقد الثوار حريتهم او حتى حياتهم في حالة قيامهم بحركات تهدد امن الدولة. ولذلك فقد اختلفت الآراء حول موقف الدولة العثمانية أو السلطان من الإجراءات التي اتخذت ضدهم فهي ليست بعيدة عما كان سائداً في تلك الفترة من القضاء على أي تمرد سواء أكان أقلية أم غير ذلك، ضد الحاكم أو الدولة مهددين النظام السائد، فهو إجراء اتخذته أوربا تجاه مواطنيها أو ضد الأقليات الموجودة فيها وقضت على تلك التمردات وقمعتها بالقوة. في حين

يقول أخر إن استخدام القوة من قبل العثمانيين ضد الأرمن كان القصد منها إحلال تعثر الحركة القومية الارمنبة ، قبل ان تكتسب قوة ونفوذ او تقدم عبر وسائلها المختلفة ، من أفكار ثورية وأحزاب وصولاً الى تحقيق اهدافها بالاستقلال . ويحمل أخر الأرمن نتيجة ما حصل من عمليات ضدهم، ويشير مكارثي إلى إن ماحصل من عمليات بينهم والمسلمين كان نتيجة مشاعر غير عقلانية ، لان الهجمات ضد المسلمين لم تؤخذ بعين الاعتبار إلا نادرا، لذا صُوِرَ المسلمين بالمتوحشين عند الكثيرين في حين إنهم الذين هاجموا المسلمين، كما هاجم المسلمون الأرمن دون استفزاز واضح ، أو مسموع أو مقبول مما تسبب في كراهية لاعقلانية . ويرى مارتن برويتسن ، بأنه على الرغم من القسوة التي تعرض لها الأرمن من قبل الدولة العثمانية ، لم يوجد أي خطة منظمة لطردهم أو تصفيتهم، بل على العكس حاولت الإدارة المدنية إزالة الآثار الناجمة عن العمليات التي حدثت، كما جاء في تقرير لأحد القناصل البريطانيين في عام ١٨٩٤. وان ما حدث هو جزء من مؤامرة خارجية لجر البلاد إلى حرب أهلية كان الغرض منها زعزعة الاستقرار في الدولة العثمانية. مما انعكس سلبا على المجتمع العثماني بشكل عام والارمني بشكل خاص، إذ كانت أثاره استنزاف موارد الدولة المالية والبشرية في حقبة تاريخية كانت من أصعب مراحل تاريخ الدولة ([٦١])

ثالثاً: الحركات الثورية الارمنية

استمر التأثير القومي على الشعب الارمني من شعوب البلقان[٦٢]، وبدا ذلك واضحاً من خلال مطالباتهم بتشكيل دولة مستقلة لهم، على الرغم من عدم وجود أغلبية عددية في أية ولاية من الولايات التي يقطونها في الدولة العثمانية[٦٣]. وأشار اللورد سالزبوري إلى ذلك في خطاب له ألقاه في اجتماع السفراء الانكليز عام ١٨٧٨ بقوله؛ ((ليس هناك أية عناصر أو شروط ملائمة لتأسيس الحكم الذاتي في ارمنستان فالحكم الذاتي يستحيل بالنسبة للأرمن الذين يقطنون مساحات شاسعة من الأراضي في ارمنستان، حيث يمتزجون مع عناصر واديان مختلفة دون إن يشكلوا أغلبية فيها، ومن الصعب جداً العثور على أية ولاية تكون منطقة تجمع لهم))[٦٤]. وأكد السلطان عبد الحميد الثاني ذلك عندما قال للسفير الألماني في استانبول ((إن الأرمن لا يشكلون أغلبية في أي مكان))[٦٥].

والراجح إن سعيهم لإنشاء دولة لهم أو الحصول على الحكم الذاتي، جاء في إعقاب الهزيمة العسكرية التي مني بها العثمانيين على يد الروس في الحرب التي دارت بينهما في عام ١٨٧٨، ووصول الجيش الروسي على مشارف استانبول، اذ ذهب وفد من الأرمن برئاسة البطريرك فرنسيس لتهنئة القائد الروسي الغراندوق نيقولا لانتصاره في حربه على العثمانيين، وطالبوا بابداء المساعدة للأرمن من اجل الحصول على حكم ذاتي[٦٦].

ولغرض تحقيق أهدافهم التي سعوا من اجلها شكلت حركات ارمنية للمطالبة بالاستقلال عن الدولة العثمانية وتشكيل دولة لهم، اذ يتم ذلك من خلال اقتطاع جزء من الارض لتأسيس تلك الدولة المنشودة. ويمكن أن ندرج الأسباب التي جعلت الأرمن يشكلون تلك الحركات على النحو الأتي:

١.ضعف الدولة العثمانية وتدهور أوضاعها السياسية والاقتصادية في القرن التاسع عشر، مما نتج عنه تردي في الأوضاع المعيشية للسكان(٦٧).

٢. قيام روسيا القيصرية بتحريض وتمويل الأرمن القاطنين في الدولة العثمانية أولا، وإثارة الفتن والمشاكل من اجل إيجاد مبرر للتدخل الروسي في الشأن العثماني ثانياً بحجة الدفاع عن النصارى ومن ثم تشكيل دولة لهم على الحدود الروسية العثمانية، تكون تحت السيطرة الروسية ونفوذها. وهي نفس السياسة التي اتبعها الروس في البلقان. في حين عاش الأرمن في روسيا وسط ظروف صعبة لا تقاس بظروفهم بالدولة العثمانية(٦٨).

٣. كان لحرب القررم (١٨٥٣ - ١٨٦٥) والحرب الروسية العثمانية (١٨٧٧- ١٨٧٨) تأثير مباشر على الشعب الارمني الذي يعيش على جانبي الحدود التركية فالاجتياح الروسي والعمليات العسكرية في المرتفعات الشرقية تمخض عنهما إعمال انتقامية عثمانية ضد الأرمن(٦٩).

ويبرر احد المؤرخين الأرمن وهو ميخائيل اوهانسيان في كتابه المطبوع باللغة الارمنية عام ١٩٠٦ بعنوان (الطشناق ومعارضوه) سبب ظهور الحركات الارمنية في الدولة العثمانية وليس في روسيا القيصرية بقوله؛ ((من الصعب جدا الوقوف والنضال إمام وحش كاسر مثل روسيا، لذا فمن الأفضل أداء الفعاليات في تركيا))(٧٠). وهذا القول يؤيد ما جاء في النقطة الأولى من الأسباب التي جعلت الأرمن يشكلون حركات ارمنية في الدولة العثمانية.

وقد انبثقت العديد من الجمعيات والمنظمات الثورية الارمنية سواء في داخل الدولة العثمانية او خارجها في العقد الذي تلا مؤتمر برلين عام ١٨٧٨. وعن الجمعيات الارمنية التي أسست خارج الدولة العثمانية يقول السفير الفرنسي (M.T.Camban) المعروف بصداقته للأرمن في التقرير الذي قدمه في ٢٠ شباط ١٨٩٤ الى وزير الخارجية الفرنسي (M.Cabimir) ((اثيرت المسألة الارمنية في أوربا لأول مرة عام ١٨٨٥ وقد اتخذ الأرمن المنتشرون في فرنسا وانجلترا والنمسا وأمريكا غاية واحدة، فأسسوا الجمعيات الوطنية وأصدروا الصحف باللغة الفرنسية والانكليزية وبينوا مساوئ الإدارة التركية فيها))(٧١).

ومن المفيد إن نتعرف على هذه الحركات والتنظيمات وأهدافها الفكرية والسياسية على النحو الآتي:

١.المدافعون عن ارض الإباء: تأسست في ارضروم عام ١٨٨٠وتم حلها من قبل الحكومة العثمانية عام ١٨٨٢.

٢. ارمينكان: وهي جمعية سياسية تأسست في عام ١٨٨٥ في وان[٧٢].

٣. هنجاك (Hunchaks): وتعني صوت الناقوس تأسست في جنيف عام ١٨٨٦، وتعد اول جمعية ارمنية مسلحة، كان هدفها اقامة دولة ارمنية مستقلة في الولايات الستة عن طريق الثورة المسلحة دون الاعتماد على الدول الاجنبية[٧٣].

٤. الحزب الاشتراكي الارمني: تأسس عام ١٨٨٧ وهو الأكثر أهمية وأوسع انتشاراً بين الأرمن ويعد هذا الحزب مرادفا للأحزاب الاشتراكية الديمقراطية في أوربا وكان هدفه خلق جمهورية ارمنية اشتراكية مستقلة تضم أرمينيا الروسية والتركية، وقد فقد هذا الحزب تأثيره نتيجة النزاعات الطائفية الداخلية[٧٤].

٥. الاتحاد الثوري الارمني: منظمة ثورية لها أهداف اشتراكية اعتمدت على العنف وهو الأسلوب نفسه الذي اعتمده الحزب الاشتراكي الروسي، وقد تكون هذا الاتحاد في عام ١٨٩٠ بعد توحيد الجماعات الارمنية الثورية[٧٥].

٦. الحزب الليبرالي الديمقراطي الارمني: يشابه هذا الحزب حزب الديمقراطيين الدستوريين الروس وكان قائده بول ميليكوف، ويفضل الحزب حكم ذاتي لارمينيا في إطار الإمبراطورية العثمانية ويكون تحقيق ذلك دستورياً بدلاً من الوسائل الثورية[٧٦].

٧. تروشاك: وتعني العلم وهي جمعية انشقت عن جمعية هنجاك وتغير اسمها من التروشاك إلى طشناق أي الاتحاد، ونسبت الى هذه الجمعية الحركات والثورات الدامية التي وقعت في عهد السلطان عبد الحميد الثاني في كل من استانبول وديار بكر وارضروم وطرابزون وسيواس والمناطق الأخرى، التي ذهب ضحيتها الألاف من المسلمين والأرمن. ومن المهم إن نشير إلى ان معظم قادة هذه الجمعية كانوا من أرمن روسيا القيصرية[٧٧].

بتشجيع من روسيا القيصرية سعت هذه الحركات والتنظيمات للعمل من اجل حث الدول الأوربية على دعم أهدافهم في الحصول على الحكم الذاتي أو الاستقلال، فقد انتقلوا الى العنف من اجل تحقيق أهدافهم، وكانت اشد التنظيمات عنفاً تلك الجمعيات التي كانت في تفليس. فقد استخدمت وسائل عنيفة ضد الأثرياء من الأرمن لإجبارهم على دعم أهدافهم، كما سعوا من اجل إضعاف ثقة السلطان بالموظفين الأرمن لإجبارهم على دعمهم. كما قاموا بمهاجمة موظفي الضرائب العثمانيين وموظفي البريد والقضاة، فضلاً عن قيامهم بإبادة قرى كاملة واجبروا الفلاحين والتجار الأرمن مساعدتهم. وتحفظ المسلمين على الرد بالمثل. وعندما فشلوا في تحقيق أهدافهم داخل الدولة العثمانية تركت الساحة للحركات الارمنية للعمل في الخارج[٧٨].

ومن خلال ما تقدم يبدو ان الحركات الثورية قد بدأت نشاطها منذ انسحاب القوات الروسية مباشرة من الأراضي العثمانية التي احتلتها في الحرب التي دارت بين الجانبين عام ١٨٧٧ – ١٨٧٨، وقيام الدولة العثمانية ببعض الممارسات التي اتخذتها ضد الأرمن. وقد أثرت العوامل الدينية والفكرية والسياسية على هوية هذه الحركات وأهدافها وكان معظمها يطالب بإقامة دولة ارمنية مستقلة عن الدولة العثمانية او حكم ذاتي، ولابد من الإشارة إلى الطابع الذي يغلب على هذه الحركات هو الطابع الثوري، بينما القليل منها كان يطالب بالحكم الذاتي في إطار الدولة العثمانية، كما يلاحظ دور روسيا القيصرية في قيادة وتوجيه ودعم معظم الحركات.

المبحث الثالث: الموقف الدولي من المسالة الارمنية:

تولى السلطان عبد الحميد الثاني الحكم في الدولة العثمانية عام ١٨٧٦ وبعد عام قامت الحرب العثمانية الروسية وفي اليوم الذي أعلنت فيه روسيا القيصرية الحرب على الدولة العثمانية في ٢٤نيسان ١٨٧٧، ذكر الباب العالي الدول الأوربية بمعاهدة باريس إلتي وقعت عام ١٨٥٦ في إعقاب حرب القرم والضمانات التي تقدمت بها تلك الدول الموقعة على المعاهدة والتزامها في الدفاع عنها والحفاظ على استقلالها وسيادتها على اعتبار ان ذلك مصلحة أوربية. إلا إن الأوضاع الأوربية عشية إعلان الحرب لم تكن في مصلحة الدولة العثمانية ومنعت حدوث أي تكتل أوربي ضد روسيا القيصرية، كما حدث في حرب القرم. فبسمارك المستشار الألماني لم يكن مكترثا بالمسالة الشرقية (The Eastern Question)، واعتبرها أفضل طعم تتلهى به الدول الأوربية على إطراف القارة الأوربية وتنشغل عما يحدث في وسط أوربا، إما انكلترا التي كانت تدرك مخاطر الاندفاع الروسي في اتجاه استانبول على مصالحها الاستراتيجية في المتوسط والهندي فاكتفت في البداية، وبسبب الانقسامات داخل الحكومة حول الموقف من تطورات المسالة الشرقية، بتحذير روسيا من مغبة احتلال العاصمة العثمانية شريطة عدم الإخلال بالتوازن في البلقان وبمصالحها الإستراتيجية هناك، وإقامة دولة سلافية تدور في فلك روسيا القيصرية. فضلا عن قيام روسيا القيصرية بعقد سلسلة من الاتفاقيات مع النمسا ورومانيا لضمان حياد الأولى ومشاركة الثاني في الحرب[٧٩].

وكان التقارب الألماني العثماني قد اثار حفيظة دول اوربا الغربية وكانت الاتفاقية المبرمة بين العثمانيين والالمان هي الخطوة الأولى في إثارة سياسة التنافس والتنازع فيما بينهما، إذ بدأت بالتوجه لتخفيف الضغط عن الدولة العثمانية، ودراسة سياستها وما يمكن ان يساعدها لكي تقف إمام التهديدات والتدخلات الخارجية. إذ خشيت انكلترا وفرنسا من الاتفاق

العثماني الالماني الى دخول ألمانيا شريكا لتقسيم المنطقة. فأخذتا تعيدان حساباتهما وتتـــوددان للسلطان عبد الحميد الثاني. لقد بدأت كل من انكلترا وفرنسا، تتبعان أساليب يبدو فيها إنهمـــا مهتمتان بمشاكل الدولة العثمانية، وتبديان استعدادا للمساعدة في مختلف المجالات ولاسيما في مجال الديوان. لكن بعد زيارة الإمبراطور غليوم الثـــاني (١٨٨٨ -١٩١٨) إلـــى اســـتانبول وتوقيعه على تنفيذ عدة مشاريع منها سكة حديد برلين بغداد وخط سكة حديد الحجاز. ولكـــن على الرغم من وجود الاتفاقية والتوقيع على عقود تنفيذ المشاريع، إلا انه لايمكن تحقيق كـــل هذه المشاريع في ظل دستور ومجلس يسيطر عليهما رجل انكلترا في الدولة العثمانية مـــدحت باشا (١٨٢٠ -١٨٨٣). ومع ذلك سعى مدحت باشا ورفاقه بالتحريض ضد السلطان وتـــدبير المؤامرات لخلعه ، إلا أن تلك المحاولات باءت بالفشل، مما جعل السلطان يفتح ملف التحقيق في مقتل عمه السلطان عبد العزيز (١٨٦١ -١٨٧٦) وقدم مدحت باشا ورفاقه للمحاكمة فـــي قصر يلدز، فأصدرت المحكمة قرار بالادانة والإعدام، غير إن انكلترا لم تـــسكت وحاولـــت إنقاذه برجال مخابراتها لكن جميع المحاولات باءت بالفشل ووجد مدحت باشا ورفيقه محمـــود جلال الدين مقتولين في السجن[٨٠].

فضلا عن إن روسيا القيصرية كانت لها إطماعها في الدولة العثمانية وكانت بريطانيـــا والدول الأوربية تظهر أنها تقف مع الدولة العثمانية في وجه الإطماع الروسية فـــي حـــين إن بريطانيا وفرنسا ترغبان في إضعاف هذه الدولة، لذلك نجد إن بريطانيا لـــم تعتـــرض علـــى روسيا القيصرية عندما وصلت قواتها إلى سواحل مرمرة فـــي ٢٨ كـــانون الثـــاني ١٨٧٨، فالسلطان عبد الحميد الثاني كان يعتقد إن بريطانيا ستهب لنجدته تجاه الإطماع الروسية، لكنها لم تفعل الا بعد ان وصلت الجيوش الروسية على مشارف العاصمة العثمانية، فخشيت علـــى مصالحها ووصلت بعض قطع الأسطول الانكليزي الى مضيق البسفور لمنع التقدم الروســـي مما اجبر القيصر الروسي إلى إيقاف الحرب وعقد معاهدة سان ستيفانو التي وقعت في ٣ آذار ١٨٧٨ بين روسيا والدولة العثمانية. وقد اتضحت إطماع بريطانيا بصورة جلية عندما رفضت معاهدة (سان ستيفانو) مقابل حصولها على قبرص من الدولة العثمانية[٨١].

ومن خلال تتبع الاوضاع الدولية والقوى الكبرى فيها يمكن التعرف على مواقف الدول الغربية من المسالة الارمنية، في فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني. فعلى الرغم من قيـــام الدول الكبرى بالزام السلطان بالتوقيع على معاهدة برلين (١٨٧٨) والقيام بالإصلاحات فـــي ارمينيا، لكنها كانت منشغلة بالتنافس على المستعمرات ولم تعطِ أية أهمية للأرمن وثـــورتهم. وفي المقابل لم يكن لدى السلطان الرغبة في تطبيق الإصلاحات في شرق الأناضـــول وكـــان متشدداً على منع ظهور اية حركة نصرانية قوية في تركيا الأسيوية، فقد اعتـــرض الـــسلطان على أي تدخل من قبل الدول الكبرى في الشؤون الداخلية للدولة العثمانيـــة فـــي مقاطعـــات

الأناضول، فضلا عن تجنبه الالتزام بما جاء في معاهدة برلين[٨٢]. ومهما يكن من أمر فان الدول الكبرى لم تول اهتمامها في المسالة الارمنية مثلما حدث مع الصرب والبلغار، لعدم وجود منطقة واحدة كبيرة في الدولة العثمانية تضم الأغلبية من الأرمن[٨٣].

ونتيجة للحركات الثورية التي قام بها الأرمن خلال الفترة (١٨٨٥ -١٨٩٥) وصدامهم مع السلطة العثمانية، فضلا عن محاولة اغتيال السلطان عبد الحميد في تموز ١٩٠٥ على يد أعضاء الطنشاق إذ تعد من اكبر محاولات التمرد ضد الدولة العثمانية، إلا إن المحاولة لم يكتب لها النجاح، مما أدى إلى مقتل الآف الأشخاص من الأتراك والأرمن[٨٤]. في حين كان الغرب منشغلا بالمستعمرات وشؤونها الداخلية لاسيما في الأزمة التي كانت عام ١٨٩٤[٨٥]. حتى أن روسيا القيصرية نفضت يديها من المسالة الارمنية إذ تغير موقفها بعد تولي الحكم القيصر الكسندر الثالث عام ١٨٨١،اذ اخذت بالابتعاد عن الأرمن وعدم التعاطف معهم سواء داخل البلد او خارجه[٨٦]. لاسيما انه أدرك إن جهود إضعاف السلطان العثماني قد تزامنت مع الأفكار الراديكالية التي بدأت تظهر في روسيا القيصرية، والتي من الممكن إن تحفز رعاياه على التمرد، لذا تخلى عن جهوده الرامية إلى دعم الأرمن، مما أدى إلى التخلي عن فكرة مساعدتهم وتحقيق مطالبهم، لان ذلك سوف يشجع أرمن روسيا القيصرية على المطالبة بالاستقلال أو الحكم الذاتي وهذا ما لا يحبذه الروس مما أدى أيضا إلى منح السلطان الحرية في التعامل معهم[٨٧].

وعلى الرغم من سياسة العنف التي اتبعتها الدولة العثمانية في ربيع عام ١٨٩٥، فقد كان ردا على ما قام به الأرمن من ممارسات ضد الدولة ، أرسلت الدول الكبرى مذكرتين الى السلطان في عام ١٨٩٥ تضمنت الأولى مشروع الإصلاحات والثانية أرسلت في خريف العام نفسه بصيغة مذكرة شفهية من سفراء كل من فرنسا وروسيا وانكلترا إلى سعيد باشا، عبروا فيها عن ثقتهم بعدم عزم السلطان بإجراء الإصلاحات. ونجحت الدول في الحصول على وعد مبدئي في القيام بمشروع اصلاحات من قبل حكومة السلطان التي استخدمت الدبلوماسية كوسيلة للتعامل مع الموقف، وكان السلطان متوقعا عدم تدخل الدول الكبرى بالمسالة الارمنية لتنافسهم على المصالح الاستعمارية، وجاءت التطورات السياسية التي شهدتها أوربا والشرق الأقصى كما توقع السلطان فأبعدت التدخل الجماعي الدولي في المسألة[٨٨].

سعى الارمن إلى جذب انتباه الغرب لحملهم على التدخل ، عبر مخطط ارادوا تنفيذه، ففي ١٨٩٦ فكر الثوريون الأرمن بضرب المصالح الاقتصادية والمالية في الدولة العثمانية، فهاجموا الأرمن البنك العثماني في غلطة سراي مما ادى الى تصدي العثمانيين لهم ولثلاثة أيام، وبعدها توقف العثمانيين عن ضربهم[٨٩]. واستنكرت الدول الكبرى لهذا العمل وأطلقوا على السلطان اسم السلطان الأحمر[٩٠].

إما بالنسبة لألمانيا فلم تعر اهتمام للأرمن ولا إلى أي شيء من مطالبهم، اذ كانت مصلحتها تقتضي الوقوف إلى جانب الدولة العثمانية، بغية الحصول على الامتيازات في أراضيها، وجاءت زيارة الإمبراطور الألماني غليوم الثاني عام ١٨٩٨ إلى استانبول تتويجاً لذلك، إذ كان يرى إن الشرق الأدنى ميداناً للتوسع الاقتصادي ، وعقد تحالف مع الدولة العثمانية كما اشرنا وسرعان ما تطورت العلاقات بين الدولتين في مجالات مختلفة[٩١]. فقد قدموا إلى الإمبراطور الألماني خلال زيارته استانبول شكوى مطالبين مساعدته، لكنه لم يأبه لأنه قدم إلى الدولة العثمانية للحصول على امتياز سكة حديد بغداد وإرسال بعثة عسكرية لتدريب الجيش العثماني، فضلاً عن رغبته في الحصول على المزيد من الامتيازات، لذا لم يأبه بمطالب الأرمن[٩٢].

إما انكلترا فقد سعت الى استخدام الأرمن كورقة ضغط على السلطان من اجل جعل الأناضول محمية انكليزية، وبسبب التطورات الدولية وحصول تقارب بين انكلترا وروسيا القيصرية توج باتفاق عام ١٩٠٧ بين الجانبين، وقد اتخذ الجانبان المسالة الارمنية ذريعة للتدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية، وفي هذا الإطار تقدمت روسيا القيصرية بمشروع إصلاحي في أرمينيا[٩٣]. لكن الدولة العثمانية رفضت بدعم من ألمانيا، وأجريت تعديلات عليه لكن نشوب الحرب العالمية الأولى حال دون تنفيذه[٩٤].

الخاتمة:

يحدثنا التاريخ بأنه هنا وهناك تقع مشاكل وأزمات داخل الدول، ويتطلب الأمر من قبل سلطات الدولة معالجتها، أو يقتضي الأمر إن عجزت الدولة إن تتدخل أخرى لمعالجتها والتعامل معها حسب طبيعة تلك القضايا وظروفها وخصوصيتها ويكون ذلك إما بموافقة الدولة المعنية من باب المساعدة أو خارج إرادتها لأسباب ودوافع تحمل تلك الدول على التدخل وان المسالة الارمنية في الدولة العثمانية خلال فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني هي من تلك القضايا التي تدخلت فيها القوى الكبرى وكان لكل دولة موقف خاص بها.

من خلال دراسة هذا الموضوع فقد توصل الباحثان إلى أهم الاستنتاجات الآتية:

- إن الأرض التي استوطن فيها الأرمن هي ليست أرضهم في الأصل بل جاءوا إليها واستقروا فيها، فضلا عن توزع سكنهم بين مناطق مختلفة. ليس بين الدولتين (روسيا القيصرية والدولة العثمانية) اللتين عاشوا فيهما فيما بعد وإنما على مستوى الدولة

الواحدة (الدولة العثمانية) كان سكنهم في مناطق وولايات متفرقة ومن ثم نرى من الصعوبة قيام كيان سياسي موحد مستقل خاص بهم.

- ان الظروف التي أجبرتهم على الاقامة في الأرض التي جاءوا إليها دفعتهم لاعتناق الديانة النصرانية فقسم منهم اعتنق المذهب الأرثوذكسي(الغريغوريون) وآخرون الكاثوليكي والبروتستانتي. في الوقت كان فيه الاسلام ديناً رسمياً للدولة العثمانية والنصرانية(المذهب الارثوذكسي) لروسيا القيصرية. مما ادى الى تشتيت ولائهم.
- إن الأرمن أقلية ذات خصوصه تمتاز عن بقية الأقليات التي تعيش في الدولة العثمانية اذ سعوا الى التآخي مع الشعوب التي عاشوا معها. كما إن الشعب الارمني يمتلك كفاءة ومقدرة وإخلاص في كل الإعمال التي امتهنوها او الوظائف الخاصة التي شغلوها في الدولة العثمانية، مما يعكس مدى اعتماد الدولة عليهم والمكانة التي كانوا يتمتعون بها.
- بعد منتصف القرن التاسع عشر ادّت الدول الكبرى دورا كبيرا في ظهور المسالة الارمنية في الدولة العثمانية، لاسيما بعد الحرب الروسية العثمانية (١٨٧٧ -١٨٧٨). وان المسالة الارمنية كانت قضية داخلية تخص الشعب الارمني الذي يعيش في الدولة العثمانية وان هذه المسالة من اختصاص السلطات العثمانية للتعامل معها وفقا لقانون ونظام الدولة ولا علاقة لتدخل الدول الاخرى فيها.
- كان للقوى الكبرى مواقف من هذه المسالة خاصة روسيا القيصرية، فرنسا (الجمهورية الثالثة)، بريطانيا، ألمانيا:

روسيا القيصرية : أرادت إضعاف السلطان عبد الحميد الثاني وتحريض الأرمن داخل الدولة العثمانية للقيام بالثورات والمطالبة بالاستقلال وإقامة دولة خاصة بهم على الحدود الروسية العثمانية تكون تحت السيطرة الروسية وهي السياسة نفسها التي اتبعها الروس في البلقان.

لبريطانيا خصوصية في الدبلوماسية والعلاقات الدولية كالمد والجز ،تحكمه مصلحة بريطانيا بالدرجة الاولى . على الرغم من حصول بريطانيا على قبرص من الدولة العثمانية، فقد سعت إلى استخدام المسالة الارمنية كورقة ضغط على السلطان عبد الحميد الثاني من اجل جعل الأناضول محمية انكليزية.

اما فرنسا فقد اهتمت بالمسالة الارمنية منطلقةً من وصف الفرنسيين بانهم حماة الكاثوليك من الدولة العثمانية، فضلا عن سياستها الخاصة بإضعاف سلطة الدولة العثمانية ودعم الحركات الثورية المطالبة بالاستقلال عن الدولة العثمانية أو إقامة حكم ذاتي.

والموقف من المسالة الارمنية يعود من جديد حيث ان الرئيس الفرنسي نيقولا ساركوزي يقدم للجمعية الوطنية الفرنسية مشروع قانون خاص تجريم أفكار إبادة الأرمن من الدولة العثمانية

عام (١٩١٥)، والذي اعتمدته الجمعية في ٢٢ كانون الأول ٢٠١١. ويرى الباحثان ان على تركيا اتخاذ إجراءات ضد فرنسا بل إن قادتها السياسيين سعوا الى وضع العراقيل امام تركيا لمنعها من الانضمام الى الاتحاد الأوربي. وأخيرا لم يكن لألمانيا أي موقف من المسألة الارمنية، ولم تعرِ أهمية للأرمن ولا إلى أي شيء من مطالبهم الخاصة بالاستقلال. وذلك نابع من كون العلاقات الألمانية– العثمانية جيدة آنذاك تحكمها المصالح المشتركة لاسيما مصلحتها بالحصول على الامتيازات في الدولة العثمانية.

الهوامش والمصادر:

[١] غسان وليد مصطفى الجوادي ، المسألة الارمنية في الدولة العثمانية ١٨٧٨ -١٩١٨ دراسة تاريخية ، اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى كلية التربية جامعة الموصل ،٢٠١٠ ، ص ٨.

[٢] للمزيد ينظر : مروان المدور ، الارمن عبر التاريخ ، ط٢،(منشورات دار نوبل ، دمشق، د ت)،ص ص ٦٧ -٨١.

) Encyclopedia Americana,(New York.١٩٦٧),vol.٢,p٣٣

٣

) William Yale,The Near Modem History , (London ,١٩٦٨) ,pp١١٥- ١١٦.

٤East: A

[٥] الجوادي ، المصدر السابق ، ص ٩ .

٦) , Yale, op.cit ,p ١٦٦.

[٧] فردينان توتل ،المنجد في الاداب والعلوم ، ط١٨،(المطبعة الكاثوليكية ،بيروت، ١٩٦٥)، ص١٥.

[٨] عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى، التنصير الامريكي في بلاد الشام ١٨٣٤ -١٩١٤، (مكتبة مدبولي، القاهرة،٢٠٠٥)، ص٥٥.

٩) Salahi Ramsdam Sonyel,The Ottoman Armenians, (London , ١٩٨٧) ,p١

[١٠] هيرودتوتس: ٤٨٤ -٤٢٥ ق.م وهو مؤرخ يوناني ملقب بـ ابى التاريخ ، قام بزيارة العالم المعروف في زمانه انذاك لاسيما العراق وفينيقيا ومصر له كتاب (التاريخ) وهو اهم المراجع لمعرفة احوال الاقدمين لما دون فيه من اخبار الامم واساطيرها . المنجد ، ط١٨، بيروت ١٩٦٥ ، ص ٥٥٩

[١١] للمزيد ينظر المدور، المصدر السابق .

١٢) Stanford J. Shaw &Ezel K.Shaw ,History Of The Ottoman Empire And Modern Turkey, (Cambridge ,١٩٨٧) vol ll , p ٢٠٠ .

[١٣] استطاع المبشرون الجزويت بحلول عام ١٧٠٠م من تحويل عدد كبير من الارمن الأرثوذكس الى الكاثوليكية واسسوا الكنيسة الارمنية المتحدة والتي اعترفت بسلطة البابا العليا. مما خلق عدم الرضا لدى

الكثير من الارمن في استانبول، اذ ان الاغلبية كانت تتبع الكنيسة الأرثوذكسية. للمزيد ينظر: Yale, op.cit.p١١٤

[١٤] Shaw, op.cit.p٢٠١

[١٥] الجوادي ، المصدر السابق ، ص ١١.

١٦) Shaw, op.cit.p٢٠١

١٧) Ibid , p ٢٠١.

١٨) Ibid , p ٢٠٥

١٩) Yale, op.cit.p١١٧ .

[٢٠]) المدور ، المصدر السابق ، ص ص ٢٦٣ -٢٨٠.

[٢١]) نظام الملة : وهو تنظيم شؤون غير المسلمين في الدولة وذلك بمنحهم حق الاستقلال بانتخاب رؤوسائهم الدينيين، وحق ممارسة شئونهم الخاصة في التعليم والقضاء والضرائب تحت اشراف رووسائهم .ومؤسسة الملة وسيطة بين الدولة واهل الملل الاخرى ، اذ يقوم رئيس كل ملة باستقبال الفرمانات والاوامر السلطانية ويبلغ بها جماعته ويتابع تنفيذها ، وفي المقابل فان اتباع الملة يبلغون رؤسائهم الدينيين بمطالبهم وفق موافقة سلطانية.للمزيد ينظر : كمال السعيد حبيب ، الأقليات والسياسة في الخبرة الاسلامية من بداية الدولة النبوية وحتى نهاية الدولة العثمانية (٦٢٢ -١٩٠٨م)(١هـ - ١٣٢٥م)، (مكتبة مدبولي ،القاهرة،٢٠٠٢) ، ص٣٢٢.

[٢٢]) يذكر احد الباحثين : ان الدولة العثمانية تأخر اعترافها بالارمن حتى عام ١٦٤١ لان رئيس الطائفة يقيم خارج حدود الدولة العثمانية ولايوجد اتفاق حول هذا الرأي لان السلطان محمد الفاتح اعترف بالاقليتين اليهودية والارمنية على الرغم من وجود اعداد قليلة منهم في الدولة العثمانية . للمزيد ينظر : عيسى ، المصدر السابق ، ص ص ٥٥ -٥٦.

[٢٣]) اورخان محمد علي ، السلطان عبد الحميد الثاني ، (دار الانبار ، ١٩٧٨) ،ص ٢٠٦.

٢٤).Shaw, op.cit.p٢٠٠

٢٥) M.K.Kihorian,Armenians in service of Ottoman Empire (١٨٩٠- ١٩٠٨), (London,١٩٧٧), p ١١٦.

[٢٦] الجوادي ، المصدر السابق ، ص ٣٨.

[٢٧]) اورخان محمد علي ، الوجه الحقيقي للقضية الارمنية ، souriastars.com / community / viewtopic

[٢٨]) مجلة الهلال ،ج٣، ١٩١٤ -١٩١٥، ص ص ٣ -٤.

[٢٩]) Shaw, op.cit.p٢٠٢.

[٣٠] الجوادي ، المصدر السابق ، ص ٣٨.

[٣١])Yale, op.cit.p١١٤

[٣٢]) التنظيمات العثمانية الخيرية المعروفة بخط شريف كلوخانة، اعلنها السلطان عبد المجيد في ٢٦ شعبان١٢٥٥هـ / ٤ كانون الثاني١٨٣٩ م القاضية بتغيير مؤسسات الدولة بشكل جوهري، وعدم التميز بين

المواطنيين في الحقوق والواجبات ،على اساس مذهبي او قومي ، كما اكد على حرية ممارسة الشعائر الدينية لجميع الاديان. للمزيد ينظر : سليمان البستاني ، عبرة وذكرى ، الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده ، تحقيق ودراسة خالدة زيادة ، ط١، (بيروت، ١٩٧٨)، ص ص ٢٥ - ٢٩.

[٣٣]) خط همايون اعلنه السلطان عبد المجيد في ١١ جمادي الاخرة عام ١٢٧٢ هـ/ ١٨ شباط ١٨٥٦م وأكد فيه المبادئ الاصلاحية الواردة في مرسوم كلخانة ، القاضي بتامين رعايا الدولة على ارواحهم وممتلكاتهم ، والمساواة في دفع الضرائب،وتمثيل الطوائف غير الاسلامية في المجالس المحلية في القرى والاقاليم ،ورفع الجزية عنهم ،ومشاركة ابنائهم في المدارس الحكومية ،لكونها مقتصرة على ابناء المسلمين ، فضلاً عن مشاركتهم بالجيش والوظائف الحكومية، والتعهد بالقضاء على الفساد الاداري الموجود في الموسسات الحكومية كالرشوة مثلاً. كما استمدت هذه التنظيمات مبادئ اخرى من الانظمة الاوربية. انظر نص المرسوم: كنز الرغائب في منتخبات الجوائب ، جمع فارس الشدياق ،ج٥، (مطبعة الجوائب ، الاستانة العلية ،١٢٩٥هـ)، ص ص ٢٦٠ -٢٦٣.

[٣٤])Yale, op.cit,P١٢١.

[٣٥] المصدرنفسه ،ص ٣٩.

[٣٦]) المدور، المصدر السابق، ص٣٧١.

[٣٧] الجوادي ، المصدر السابق ، ص ص ٤٥ -٥٠.

[٣٨]) السلطان عبد الحميد الثاني: مذكراتي السياسية ١٨٩١ - ١٩٠٨، ط٢، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٩)، ص ص٤٤ -٤٥.

[٣٩]) المدور، المصدر السابق، ص٣٩٤.

[٤٠]) Mim kemal Oke, The Armenian Question ١٩١٤- ١٩٢٣, (Oxford, ١٩٨٨) pp.٨٦- ٨٨.

[٤١]) السلطان عبد الحميد الثاني، المصدر السابق، ص٤٣.

[٤٢]) قضية الارمن: نبش التاريخ وفتنة المستقبل، www.ahewar.org/debat/show.art

[٤٣]) مذكرات السلطان عبد الحميد، ترجمة وتعليق : محمد حرب عبد الحميد، (دار الانصار، ١٩٧٨)، ص ص٥٣ - ٥٤.

[٤٤]) المصدر نفسه، ص٥٦.

[٤٥]) الفقرة ٩ من وصية القيصر بطرس الاكبر تنص على: "نقترب من القسطنطينية والهند بقدر الامكان فمن يملك القسطنطينية فقد ملك العالم. بناء على ذلك ينبغي ملازمة الحرب مع العثمانيين" . اما الفقرة ١١ تنص على: "تشارك النمسا فيما قصدناه من اخراج الدولة العثمانية في اوربا". والفقرة ١٣ تنص على: "وبعد التسلط على الممالك العثمانية، نجمع جيوشنا وتدخل اساطيلنا بحر البلطيق والبحر الاسود ونشرع التفاوض مع فرنسا ودولة النمسا في قسمة العالم بيننا". علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية: عوامل النهوض والسقوط، ط٢، (دار المعرفة، بيروت، ٢٠٠٥)، ص ص٤٤٣ - ٤٤٤.

[٤٦]) محمد قاسم وحسين حسني، تاريخ القرن التاسع عشر، (لجنة التاليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٨)، ص٢٠٠.

[٤٧]) أ.ج جرانيت وهارولد تمبرلي، اوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين، ترجمة جهاد فهمي، ج٢، (مؤسسة سمل العرب ، القاهرة، د -ت)، ص١٦.

[٤٨]) Yale, op.cit,p١١٥.

[٤٩]) Oke,op.cit,pp٨٩- ٩٠.

[٥٠]) جون هاسلب، السلطان الاحمر: قصة حياة السلطان عبد الحميد، تعريب فليب عطـــا الله، (دار الروائـــع الجديدة، بيروت، د - ت)، ص ص١٥٣ -١٦١.

[٥١]) أ. استارجيان، تاريخ الامة الارمنية، (مطبعة الاتحاد الجديد ، الموصل، ١٩٥١)، ص٢٧٨.

[٥٢]) M.S.,Andreson,The Great Powers and the Near East ١٧٧٤- ١٩٢٣: Documents of Modern History, (London, ١٩٧٠), pp ٩٨- ١٠١. انظر نص المادة ٦١ من معاهدة برلين ١٨٧٨:

[٥٣])Oke, op.cit, pp ٩٠- ٩٢.

[٥٤])Yale, op.cit, p١١٥.

[٥٥]) محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، (دار الجيل، بيروت، د -ت)، ص٣٨٦.

[٥٦]) اورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد، المصدر السابق، ص ص٢١٧ - ٢١٨.

[٥٧])Yale, op. cit, p١٢٤.

[٥٨]) Ibid. p.١٢٤.

[٥٩]) Shaw, op.cit. p٢٠٢.

[٦٠] الجوادي ، المصدر السابق ، ص ص ٩٨ -٩٩.

[٦١] المصدر نفسه ، ص ص ١٢٦ -١٢٧.

[٦٢])Yale,op.cit.p١٢٠.

[٦٣])Shaw, op. cit, p٢٠١.

[٦٤]) اورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد، المصدر السابق، ص٢١٥.

[٦٥]) المصدر نفسه، ص٢١٦.

[٦٦]) المصدر نفسه، ص٢١٧.

[٦٧]) Yale, op. cit, p١١٩.

[٦٨]) Shaw, op.cit. p٢٠٠.

[٦٩]) Yale, op.cit, p١٢١.

[٧٠]) اورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد، المصدر السابق، ص٢١١.

[٧١]) المصدر نفسه، ص ص٢١٥ - ٢١٦.

[٧٢]) Yale, op.cit, p١٢٢.

[٧٣]) كمال مظهر احمد، كردستان في سنوات الحرب العالمية الاولى، ترجمة : محمد الملا عبد الكـــريم، ط٢، (بغداد، ١٩٨٤)، ص ص٢٤٧ و٢٦٣.

[٧٤]) Yale, op.cit, pp١٢٢- ١٢٣.

[٧٥]) Ibid. p١٢٣.

[٧٦]) Ibid. p١٢٣.

[٧٧]) احمد المصدر السابق، ص ص٢٤٧ و٢٦٣.

[٧٨]) shaw, op.cit.p٢٠٣.

[٧٩]) عبد الرؤوف سنو ، النزاعات الكيانية الاسلامية في الدولة العثمانية ١٨٧٧ -١٨٧٨ ،ط١ ،(بيسان للنـــشر والتوزيع، بيروت،١٩٩٨)، ص٢٤.

[٨٠]) محمد طه الجسار ، تركيا ميدان الصراع بين الشرق والغرب ،ط١، (دار الفكر ، دمشق ،٢٠٠٢) ،ص ١١٢ -١١٤.

[٨١]) محمد مظفر الادهمي ، تاريخ اوربا الحديث في القرن التاسع عشر ، (الجامعة المستنصرية د -ت) ص٢٧٤ -٢٧٥.

[٨٢]) Yale op. cit, pp.١٢٣- ١٢٤

[٨٣]) Shaw , op.cit.p.٢٠٢

[٨٤]) Oke,opcit,p.p٩٠- ٩٢

[٨٥]) احمد ، االمصدر السابق،ص٢٥٠

[٨٦]) Yale op. cit, pp.١٢٤

[٨٧]) Shaw , op.cit.p.٢٠٢

[٨٨]) Yale op. cit, pp.١٢٦

[٨٩]) Ibid p.١٢٥.

[٩٠]) William Miller, The Ottoman Empire and its Sucessore ,(London,١٩٦٦),p٤٣١

[٩١])Yale, op. cit, pp.١٢٦- ١٢٧ .

[٩٢]) للمزيد ينظر :Gurun.K.,Armenia file,(Istanbul,١٩٨٩),ss١٦٠- ١٦١

[٩٣]) وهو الكتاب الروسي البرتقالي رقم (٥٠) الصادر بتاريخ ٧ كانون الثاني ١٩١٣ وضعه المترجم في السفارة الروسية (فاندلستام) جهز هذا المشروع بعد ان شكلت لجنة من مترجمي السفارات في استانبول لدراسة المسالة الارمنية. مذكرات جمال باشا ، ترجمة علي احمد شكري ، (بغداد ، ١٩٦٣) ،ص ٣٠١.

[٩٤]) . المصدر نفسه. ص ص٣٠١ -٣١٢.

This document was created with Win2PDF available at http://www.daneprairie.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.